جامعة تكريت
كلية العلوم الإسلامية
قسم الحديث

مرحلة الدكتوراه
الكورس الأول
العام الدراسي ٢٠٢٣ – ٢٠٢٤

محاضرات في علل الحديث ودراسة الأسانيد

اعداد

د. أحمد مظهر عباس

المحاضرة الأولى

المبحث الأول

بيان معنى العلة

المطلب الأول: تعريف العلة لغةً واصطلاحًا.

أ- العلة في اللغة: قال ابن فارس في كتابه [مقاييس اللغة] عل: العين واللام أصول ثلاثة:

أحدها: تكرار أو تكرير .

والثاني : عائق يعوق والثالث: ضعف في الشيء

فالأول: العَلَل هو الشربة الثانية، ويقال: عَلَل بعد نهل، ويقال أعل القوم، إذا شربت إبلهم علا ، قال ابن الأعرابي في المثل : ما زيارتك إيانا إلا عالة . أي مثل الإبل التي تَعلُّ، وإنما قيل هذا لأنها إذا كرر عليها الشرب سوم كان أقل لشربها الثاني.

الثاني: العائق يعوق قال الخليل[بن أحمد الفراهيدي] العلة حدث يشغل صاحبه عن وجهه ويقال: اعتله كذا، أي اعتاقه، قال: فاعتله الدهر وللدهر عِلَلٌ.

والثالث: العلة مرض، وصاحبها معتل.

ب- العلة اصطلاحًا: تقاربت عبارات أهل المصطلح في تعريفهم العلة في الحديث:

وأول كتاب ذكر تعريفاً للعلل هو (معرفة علوم الحديث) للحاكم(ت٤٠٥هـ) ، قال : «وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل .

ويقول الحاكم أيضاً : وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل .

وهذا من الحاكم محاولة أولى لتحديد مفهوم عام للعلة، ولا يمكن أن نسميه حداً بما يحمله الحد من الضوابط كما يلاحظ في كلام الحاكم قصر العلة على ما لا مدخل للجرح والتعديل فيه وهو مخالف لمنهج كتب العلل التي احتوت على علل سببها جرح الراوي، وسيأتي الكلام على هذا.

وجاءت عبارة أبي عمرو بن الصلاح(ت٦٤٣هـ) أكثر تحديداً من عبارة الحاكم فقال : (المعلول هو الذي أطلع فيه على علة تقدح في صحته مع ظاهره السلامة منها).

ويتطرق ذلك إلى الإسناد الذي رجاله ثقات الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر ، وفي هذا التعريف دور لأنه أدخل (العلة) في تعريف المعلول إلى جانب أنه ذكر علة ،الإسناد ولم يشمل هذا التعريف علة المتن أهمية عن علة الإسناد. التي لا تقل أهمية عن علة الإسناد.

وأما الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٦هـ) فقد عرف العلة بقوله: (العلة عبارة عن أسباب خفية غامضة طرأت على الحديث فأثرت فيه أي قدحت في صحته).

ويلاحظ على هذا التعريف تكرار الألفاظ فيه، وقوله «طرأت يشعر بأن الحديث كان في أصله صحيحاً، وليس ذلك بلازم، إذ قد تدخل العلة على الحديث الصحيح، وقد يكون الحديث من أصله معلولاً، كان يظهر بعد البحث أن الحديث لا أصل ،له وإنما أدخل على الثقة فرواه .

وقد نقل برهان الدين البقاعي (ت ٨٥٥هـ) في نكته على ألفية العراقي، كلاماً آخر للعراقي، جاء فيه: (والمعلل خبر ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح) .

وأما الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) فقد ذكر في تعريف المعلل أثناء كلامه على أنواع الضعيف فقال: (ثم الوهم إن اطلع عليه بالقرائن وجمع الطرق فهو المعلل).

ولا يصلح هذا لأن يكون حداً للعلة، إذ هو بيان لطرق الكشف عن العلة .

وما نختاره من خبر هذه التعاريف هو ما نقله البقاعي عن العراقي: (والمعلل ظاهره السلامة اطلع فيه بعد التفتيش على قادح) وهو تعريف جامع مانع.

وفيها يلي بيان لعناصر هذا التعريف يوضح أسباب اختياره:

أ- في قوله «خبر» ذكر لعلة السند وعلة المتن لأن الخبر يشمل السند والمتن.

ب- وفي قوله «ظاهره السلامة بيان أن العلة تكون في الحديث الذي رجاله ثقات، الجامع شروط الصحة من حيث الظاهر.

ج- قوله واطلع فيه بعد التفتيش دليل على خفاء القادح، وعلى إمعان النظر ولا يكون ذلك إلا من الناقد الفهم العارف.

د- وقوله على فادح تعميم لأسباب العلل لتشمل العلل التي مدارها الجرح، وتلك الناشئة عن أوهام الثقات وما يلتبس عليهم ضبطه من الأخبار. وبذلك يكون هذا التعريف مطابقاً لواقع كتب العلل التي اشتملت على أحاديث كثيرة أعلت بجرح راو من رواتها.

المطلب الثاني: أيهما أصح الحديث المعلول (بلامين) أو حديث مُعلٌ(بلام واحد)؟.

قال د. همام سعيد: (والمحدثون يطلقون على الحديث الذي فيه علة «معلول»، (وكذا وقع في كلام البخاري والترمذي و الدارقطني والحاكم وغيرهم).

وقد أنكر بعض العلماء هذا، كما سبق في اعتراضهم على المتكلمين وقال إن المعلول في اللغة اسم مفعول من عله إذا سقاه السقية الثانية، وتعقبهم آخرون فقالوا: قد ذكر في بعض كتب اللغة: عل الشيء إذا أصابته علة فيكون لفظ معلول هنا مأخوذاً منه.

قال ابن القوطية: (عل الإنسان مرض والشيء أصابته العلة فيكون استعماله بالمعنى الذي أرادوه غير منكر ، بل قال بعضهم: استعمال هذا اللفظ أولى لوقوعه في عبارات أهل الفن مع ثبوته لغة ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال ابن هشام في شرح بانت سعاد:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنها منهل بالراح معلول والراجح في هذه المسألة أن «معلول» موافق للغة ومنسجم مع قواعدها إذا كان مشتقاً من بمعنى بمعنى سقاه الشربة الثانية، وهو معنى «معلول» في الشاهد الذي ذكره ابن القوطية وليس كما أراده شاهداً للعلة المرض لان «معلول» في البيت مرتبط بمنهل والمنهل هو المورود في المرة الأولى، والمعلول هو المورود في المرة الثانية .

ولما كان من معاني (عل) في أصل اللغة الشربة الثانية، كما ذكر ابن فارس في معنى هذه المادة فيكون هذا الاستعمال لا غبار عليه، لا في اللغة ولا في الاصطلاح، وتكون العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي أن العلة ناشئة . إعادة النظر في الحديث مرة بعد مرة .

وكما يقال «معلول» بهذا المعنى فإنه يقال «معلّ» لما دخل على الحديث من العلة بمعنى المرض.

وأما استعمال (معلل) فلا تمنعه القواعد إذا كان مشتقاً من علله بمعنى الهاه به وشغله ويكون معنى الحديث المعلل : هو الحديث الذي عاقته العلة وشغلته فلم يعد صالحاً للعمل به.

قلت: وقد يُقال: إنَّ المحدثين لما ذكروا المعلول لم يريدوا به مُجرَّدَ المرض، بل لعلهم يريدون أنَّ الحديث المعلول هو الذي يُعيدُ النَّظر فيه مرَّةً بعد مَرَّةٍ حَتَّى يَقِفَ على عليه كالمعلول الذي يُسقَى بعد نَهَلٍ ويُكوّرُ له السَّقي.

المطلب الثاني

ميدان علم العلل وغايته وأشهر علمائه

تطور النقد الحديثي وتنوع واتسعت مباحثه حتى أصبح صناعة وفتاً مع منتصف القرن الهجري الثاني. وقد انقسم إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: علم الجرح والتعديل، وهو نقد أولي سهل ميسور، يهتم بالقوادح الظاهرة كالضعف والجهالة والغفلة، وكثرة الخطأ، والفسق.

القسم الثاني: علم العلل وهو نقد ثانوي أعلى من سابقه وأدق، وفيما يلي عرض لميدان هذا العلم وغايته، وأهميته، وأشهر علمائه:

المطلب الأول:- ميدان علم العلل وغايته:

ميدانه: ميدان هذا العلم حديث الثقات، وغايته كشف ما يعتري هؤلاء الثقات وهذا النقد أوسع من الجرح والتعديل، لأن الجرح والتعديل ينتهي بكلمة أو سطر ،أو صفحة أو مجموعة من الأقوال في الرجل موضع الجرح أو التعديل، وأما هذا الذي معنا فإنه يواكب الثقة في حله وترحاله وأحاديثه عن كل شيخ من شيوخه ومتى ضبط ومتى نسي، وكيف تحمل، وكيف أدى.

ولذلك نجد علي بن المديني(ت٢٣٤هـ) يخرج علل ابن عيينة في ثلاثة عشر جزءاً (١)، وسفيان بن عيينة(ت١٩٨هـ) ثقة ثبت، ولكن هذا سلامة أحاديثه كلها فهو بشر يخطىء ويصيب، وإن كان خطؤه نادراً، ولكن كم يكون حجم هذا النادر من بين الوف الأحاديث التي يرويها؟ وهذا النوع من النقد أفرده الإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) في كتاب سماه «التمييز»، وقال في مقدمته: «فإنك يرحمك الله ذكرت أن قبلك قوماً ينكرون قول القائل من أهل العلم إذا قال هذا حديث خطأ، وهذا حديث صحيح، وفلان يخطىء في روايته حديث كذا والصواب ما روى فلان بخلافه، وذكرت أنهم استعظموا ذلك من قول من قاله، ونسبوه إلى اغتياب الصالحين من السلف الماضين، حتى قالوا: إن من ادعى تمييز خطأ رواياتهم من صوابها متخرص بما لا علم له ،به ومدع علم غيب لا يوصل إليه) .

المطلب الثالث

أهميته واتساعه

بالرغم من ان علم العلل قسم من أقسام علم الحديث دراية، إلا أن العلماء ركزوا عليه وأعطوه الأهمية القصوى حتى قال الحاكم: معرفة علل الحديث. وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل.

وحقاً إن هذا العلم رأس علوم الحديث وأوسعها وأخفاها وأدقها وأهمها ولولاه لاختلط الصحيح بالسقيم ؛ لأن الأصل في أحاديث الثقات الاحتجاج بها والالتزام بقبولها وما يدخل عن طريق الثقات والحفاظ لا يدخل عن طريق الضعفاء والمجروحين؛ لأنه كما يقول الحاكم أبو عبد الله : «فإن حديث المجروحين ساقط واه وعلة الحديث تكثر في حديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولاً.

وأما اتساع هذا العلم فسنرى – بعون الله ومشيئته . في مباحث أنواع العلل أن معظم علوم الحديث يدخل في العلل فقد يعلل الحديث بالانقطاع أو الإرسال أو الإعضال أو الإدراج أو القلب أو الاضطراب، ولكن الذي يميز علم العلل عن هذه الفروع، هو ما تتضمنه العلة من الخفاء إذ يقع الإرسال أو الانقطاع أو الإدراج في حديث الثقات ويصعب تمييزه والحكم عليه، وينطلي على أكثر المحدثين، حتى يتنبه جهابذتهم ونقادهم إلى هذا القادح الذي يتصف بالخفاء .

وخلاصة القول أن القادح منه الخفي ومنه الجلي، ومنه ما كان في حديث الثقات، ومنه ما كان في حديث المجروحين والضعفاء. فما كان خفياً وفي حديث الثقات فهو داخل في علم العلل ولا أنسى أن أقول: إن معيار خفائه سؤال الحفاظ عنه، وروده في كتب العلل وأما ما نجده في كتب العلل من أحاديث أعلت بالجرح كأن يقال في أحد رواتها: متروك أو منكر الحديث أو ضعيف فيمكن حمل هذه القوادح على علم العلل وإلحاقها به إذا وردت في أحاديث الثقات، كرواية الزهري(ت١٢٤هـ) عن سليمان بن أرقم.

ورواية مالك(ت١٧٩هـ) عن عبد الكريم أبي أمية.

ورواية الشافعي (ت٢٠٤هـ) عن إبراهيم بن أبي يحيى.

فرواية هؤلاء الأئمة الجهابذة عن هؤلاء الضعفاء توقع كثيرين في العلة اعتماداً على تثبت هؤلاء الأئمة، ومكانة الزهري ومالك والشافعي تخفي أمر هؤلاء المتروكين والضعفاء.

وقد يلتبس أمر راو ما على أحد الحفاظ النقاد، فيروي عنه، ويكون الحديث معلولاً بجهالة أمر هذا الراوي أو بنكارته، ولا تدرك هذه الجهالة والنكارة إلا بمعرفة كبار النقاد وهذا تخريج لوجود مثل هذه القوادح التي ذكرت في كتب العلل . وقد ذكر أكثر المصنفين في علوم الحديث أن العلة قد تطلق على أنواع من الجرح، وذلك بعدما ذكروا أن غالب العلل في أحاديث الثقات، ولذلك نجد ابن الصلاح(ت٦٤٣هـ) يقول: (وقد يعلون بأنواع الجرح من الكذب والغفلة وسوء وفسق الراوي، وذلك موجود في كتب علل الحديث) وهذا ما ذكره ابن كثير(ت٧٧٤هـ) والعراقي(ت٨٠٦هـ) ، ولكنهم لم يحاولوا تخريج وجود هذه الأنواع في كتب العلل. أما السخاوي(ت٩٠٢هـ) فقد تنبه لهذا فقال: ولكن ذلك منهم – أي أصحاب كتب العلل الذين يعلون بالجرح – بالنسبة للذي قبله قليل، على أنه يحتمل أيضاً أن التعليل بذلك من الخفي الخفاء وجود طريق آخر ليخبر بها ما في هذا من ضعف، فكأن المعلل أشار إلى تفرده.

المطلب الرابع

أشهر علماء هذا الفن

لقد قيض الله تعالى لميدان علم الحديث والعلل أعلاماً عبدوا مساربه .

١- أبو بِسطام شعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ): كان من أئمة هذا العلم ورائده.

قال عنه الإمام الشافعي – رحمه الله –: (لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق) .

وقال أبو حاتم الرازي(ت٢٧٧هـ) : (إذا رأيت شعبة يحدث عن رجل فاعلم بأنه ثقة).

وقال يحيى بن سعيد القطان (ت١٩٨هـ) (كان شعبة أعلم الناس بالحديث).

قال ابن رجب في معرض ترجمته لشعبة بن الحجاج: وهو أول من وسع الكلام في الجرح والتعديل واتصال الأسانيد وانقطاعها، ونقب عن دقائق علم العلل، وأئمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم .

وقال السمعاني صاحب كتاب الأنساب : (هو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين)

وهذه العبارة تكفي لأن نعرف من هو شعبة. وفي كتب العلل والرجال يتردد اسمه في كل صفحة وكافة النقاد بعده يتسابقون في نقل عباراته والبحث عن نظراته في الرجال والعلل. وخلاصة القول في شأن هذا الرجل أن الحديث أصبح صناعة وفناً على يديه.

٢- الإمام يحيى بن سعيد القطان(ت١٩٨هـ):

ومن فرسان هذا الميدان وأفذاذه الإمام يحيى بن سعيد القطان[تلميذ] و خليفة شعبة والقائم بعده ،مقامه وعنه تلقاه أئمة هذا الشأن كأحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) وعلي بن المديني(ت٢٣٤هـ) ويحيى بن معين (ت٢٣٣هـ).

قال أحمد بن حنبل: (لم يكن في زمان يحيى القطان مثله).

واختلفوا يوماً عند شعبة فقالوا اجعل بيننا وبينك حكماً، فقال: قد رضيت بالأحول، [يعني يحيى بن سعيد القطان]، فما برحنا حتى جاء يحيى فتحاكموا إليه، فقضى على شعبة فقال له شعبة ومن يطيق مثل نقدك يا أحول؟

ويعلق ابن أبي حاتم(ت٣٢٧هـ) على هذه القصة، فيقول: (هذه غاية المنزلة إذا اختاره شعبة من بين أهل العلم، ثم بلغ من دالته بنفسه وصلابته في دينه أن قضى على شعبة) .

٣- الإمام عبدالرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ) -وهو شيخ الإمام الشافعي :

قال عنه علي بن المديني: (لو أخذت فأحلفت بين الركن والمقام لحلفت بالله أنني لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من عبدالرحمن بن مهدي).

وقال صالح بن أحمد بن حنبل: (قلت لأبي: أيما أثبت عندك عبد الرحمن بن مهدي أو وكيع ؟ قال : عبد الرحمن أقل سقطاً من وكيع في سفيان قد خالفه وكيع في ستين حديثاً من حديث سفيان وكان عبدالرحمن يجيء بها على الفاظها، وكان لعبد الرحمن توق حسن)

٤- أبو زكريا يحيي بن معين بن عون المري (ت٢٣٣هـ): فإليه انتهى علم العلل.

حتى قال عنه الإمام أحمد: (وههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن).

ومن آثاره التي وصلتنا (التاريخ والعلل) وفيه علم غزير ومعرفة واسعة في علم الرجال والعلل، ولم يكتب هو بيده شيئاً وإنما جمع عدد من تلاميذه أخباره ومسائله في العلل كعثمان الدارمي(ت٢٥٥هـ) ، وعباس الدوري وابن الجنيد، ومضر بن محمد وابن محرز وخالد بن الهيثم.

وقل أن نجد رجلاً لم يتكلم ابن معين فيه جرحاً أو تعديلاً، ولقد عرف أهل زمانه مكانته وقدره فحملوه يوم وفاته على سرير رسول الله – ﷺ – وطافوا به بالمدينة والمنادي ينادي: (هذا الذي ذب الكذب عن أحاديث رسول الله – ﷺ) .

٥-علي بن المديني(ت٢٣٤هـ): ومن كبار النقاد ورجال العلل أبو الحسن علي بن جعفر المديني شيخ البخاري.

قال عنه أبو حاتم الرازي: (كان علي بن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل) وقد ترجم له ابن رجب في شرح العلل.

وذكر له قائمة من الكتب زادت على الثلاثين كتاباً. معظمها في العلل – مثل :

أ- علل المسند في ثلاثين جزءاً .

ب- العلل التي كتبها عنه إسماعيل القاضي، أربعة عشر جزءاً.

ج- علل حديث ابن عيينة ثلاثة عشر جزءا .

د- الوهم والخطأ في خمسة أجزاء.

هـ- من حدث ثم رجع عنه جزء.

ح- اختلاف الحديث، خمسة أجزاء.

٦- أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ) :

ومن هؤلاء الأفذاذ الإمام أحمد بن حنبل وباعه في الحديث عامة، وفي العلل خاصة طويل. ولقد كتب عنه تلاميذه مئات الأجزاء في العلل وفي سائر فنون الحديث. ومن هذه الأجزاء ما كتبه ابنه عبد الله عنه وقد بلغ كتابه العلل ومعرفة الرجال اثني عشر جزءاً مخطوطاً.

وقد ترجم له ابن رجب – رحمه الله . ترجمة تليق بمقامه.

٧- الإمام البخاري(ت٢٥٦هـ).

وأما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري) فقد وصفه تلميذه مسلم بن الحجاج بقوله :(أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله) . وله كتاب في العلل ذكره ابن حجر في المعجم المفهرس له وابن خير في فهرسته .

٨- **الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ):** له كتاب في العلل اسمه (التمييز) وكذلك تطرق لبعض مسائل هذا العلم في مقدمة صحيحه، وله معرفة واسعة بعلم العلل.

٩- **إمام العلل أبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم(ت٢٦٤هـ):**

١٠- **الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت٢٧٧هـ).**

١١- **يعقوب بن شيبة السدوسي(ت٢٦٢هـ):** له كتاب اسمه (المسند المعلل).

١٢- **الترمذي(ت٢٧٩هـ) :**

واشتهر الإمام أبو عيسى الترمذي بهذا الفن من مسائله وشوارده وهو أول من صنف الحديث على الأبواب فنون الحديث، وجمع المعللة، كما قال ابن رجب (عن كتابه الجامع، وقد أفرد للعلل كتابين :

الأول: العلل الصغير، وهو ملحق بكتابه الجامع.

والثاني: العلل الكبير ومعظمه منتزع من كتاب الجامع.

١٣-**الدارقطني(ت٣٨٥):**

وأما الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني وفقد انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بالعلل قال عنه الخطيب: سألت البرقاني : هل كان أبو الحسن يملي عليك العلل من حفظه؟ قال: نعم، وأنا الذي جمعتها وقرأها الناس.

وقال الخطيب : وإذا شئت أن تتبين براعة هذا الإمام الفرد فطالع العلل له، فإنك تندهش ويطول تعجبك.

١٤- **الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ):**

وللحاكم أبي عبدالله محمد بن البيع كتاب في العلل، وقد أفرد للعلل مبحثاً في كتابه (معرفة علوم الحديث)

١٥- **ابن الجوزي الحنبلي(ت٥٩٧هـ):** ولا بن الجوزي كتاب (العلل المتناهية) .

١٦- **ابن رجب الحنبلي(ت٧٩٥):**

وأما عبد الرحمن بن أحمد بن رجب فقد شرح كتاب الترمذي الجامع ثم شرح كتاب العلل الصغير الملحق بالجامع وأضاف عليه إضافات مهمة في علم العلل.

١٧-أمير المؤمنين في الحديث وخاتمة المتحدثين ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ):

وقد صنف أحمد بن علي بن حجر كتاباً سماه الزهر المطلول في الخبر المعلول».

المطلب الخامس

دراسة أشهر مصادر ابن رجب في العلل

تنوعت مصادر ابن رجب في شتى فنون الحديث حتى أصبح من المتعذر دراسة هذه المصادر ومعرفة مأخذ ابن رجب من كل منها إلا في رسالة مستقلة في مصادر الكتاب.

والجدير بالذكر أن المصادر التي استمد منها ابن رجب هي مصادر أصيلة ترجع في غالبها إلى ما قبل القرن الخامس.

ولما كانت هذه الدراسة مخصصة في معظمها للكشف عن العلل، فقد رأيت أن أعقد هذا المبحث لدراسة أشهر كتب العلل التي اعتمد عليها:

١- التاريخ والعلل: ليحيى بن معين أقوال ابن معين التي اعتمد عليها ابن رجب كثيرة جداً، وهي من كتب عديدة لتلاميذ يحيى الذين سجلوا أقواله وأجوبته على أسئلتهم وأكثر هذه كتاب التاريخ والعلل رواية العباس بن محمد الدوري (ت ٢٧١هـ) وهو أكمل الكتب التي جمعت أقوال يحيى، وقد وصل إلينا سليماً الأقوال من كل أذى والله الحمد، ومادة هذا الكتاب مجموعة كبيرة من آراء يحيى وأجوبته في ميدان الرجال والعلل.

ويبدأ كل قول بكلام لعباس الدوري يقول فيه: سألت يحيى أو سمعت يحيى.

وأما كلام عباس الدوري الخاص به فقليل جداً، ويذكر أحياناً إذا لزم التعقيب على كلام الشيخ لتصحيح رواية أو لتفسير غريب.

فإن هذا الكتاب، مادته غير منظمة والموضوعات المختلفة متداخلة فيه، فهو يتكلم عن الطبقات والوفيات والجرح والتعديل والكنى المتشابهة والأحاديث المسلسلة.

٢- علل الحديث : لعبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ت٣٢٧هـ).

إذا كان القرن الثالث هو عصر السنة الذهبي، فإن النصف الثاني منه هو ثمرته وخلاصته حيث امتد النقد الحديثي واتسع على يد رجلين من الري هما: أبو زرعة عبدالله بن عبد الكريم

الرازي ومحمد بن إدريس أبو حاتم الرازي. وقد قيض الله تعالى لهما تلميذاً عالماً عارفاً يجني علمهما ويلم شتاته، فجاء هذا العلم في كتابين مهمين الأول كتاب الجرح والتعديل، والثاني: كتاب علل الحديث وبيان ما وقع من الخطأ والخلل في بعض طرق الأحاديث المروية في السنن النبوية .

أما مادة هذا الكتاب فهي أسئلة عبد الرحمن بن أبي حاتم لأبيه وأبي زرعة(ت٢٦٤هـ)، أو سماعاته منهما، وكلها تدور على الأحاديث المعلة والأسانيد التي يعتريها الخلل والخطأ. وعبارته تأتي بأحد الأشكال الآتية: سألت أبي، سألت أبا زرعة سألت أبي وأبا زرعة سمعت أبي سمعت أبا زرعة وقولهما قد يسبق بعبارة: (قالا) أو يذكر رأي أحدهما ثم رأي الآخر، والجدير بالذكر أن السائد والغالب في هذه الأجوبة.

وهذا يشهد لهذا العلم بوحدة اتفاقهما هوا منطقه ومنهجيته .

-أما طريقة عرض هذه المادة :

فهذا الكتاب أول كتاب في العلل لقي عناية كبيرة من المصنف فرتبه على أبواب الفقه، بدءاً بباب الطهارة، ثم الصلاة، وانتهاء بباب النذر، ولكن رغم هذا الترتيب إلا أن اتساع أبوابه تجعل من الصعوبة بمكان الوصول إلى المطلوب منه ولا بد من تقسيم أبوابه إلى فروع تسهل على الباحثين الرجوع إلى الأحاديث، أو أن تفهرس مادة هذا الكتاب فهرسة مستقلة في آخره ترشد إلى الأحاديث فيه وفي هذا الكتاب ثلاثة آلاف حديث ذكرت عللها، وهذه العلل متنوعة وكثيرة، فمنها العلل الخفية كاكتشاف الإرسال والانقطاع، وأخرى بالقوادح الظاهرة كالمنكر والموضوع والضعيف. وأما مادة الرجال فهي مبثوثة خلال الكلام عن الأحاديث والأسانيد .

أهمية هذا الكتاب:

وترجع أهمية هذا الكتاب إلى مادته الغزيرة في العلل والرجال، وإلى إمامة الرجلين العظيمين أبي زرعة وأبي حاتم وإلى تبويبه الذي يجعل الحصول على المبتغى منه أقرب من غيره من كتب العلل الأخرى. وقد اعتمد ابن رجب في كتابه «شرح علل الترمذي كثيراً على هذا الكتاب، فكان من أهم مصادره.

٣- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، للإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ):

صنف الدارقطني مصنفات كثيرة في مختلف فنون الحديث إلا أن مصنفه في العلل هو أشهرها وأهمها وهذا الكتاب يشهد لعلم الدارقطني وتبحره في الحديث وطرقه، ولقد استحق بسببه عظيم الثناء من العلماء. قال ابن كثير(ت٧٧٤هـ) في(اختصار علوم الحديث) : (وقد جمع أزمة ما ذكرناه كله الحافظ الكبير أبو الحسن الدارقطني في كتابه في ذلك، وهو من أجل الكتب، بل أجل ما رأيناه وضع في هذا الفن، لم يسبق إلى مثله، وقد اعجز من يريد أن يأتي بعده، فرحمه الله وأكرم مثواه).

وبحق فإن الكتاب موسوعة حديثية، وقد جمع من طرق الحديث وعلله ما يدهش المرء، ويعجزه عن الملاحقة والاطلاع، فكيف بالابتداء والتصنيف.

وبعد الاستعراض السريع لهذا الكتاب للتعرف على مادته ومنهجه ظهر لي أنه كتاب اعتمد أسلوب العلل على الأسانيد خلافاً لعلل ابن أبي حاتم الذي اعتمد أسلوب العلل على الأبواب فكتاب الدارقطني هذا هو من كتب العلل الفريدة التي اعتمدت منهجاً موحداً، لا كما هو الحال في علل أحمد وابن المديني وابن معين واصل علل الترمذي قبل ترتيبه .

والمنهج الذي سلكه الدارقطني أنه يذكر الصحابي ومن روى عنه ويذكر العلل في حديث هذا الصحابي من هذه الطريق ثم ينتقل إلى الصحابي الآخر بعد أن يستوفي الرواة عن الصحابي الأول.